حين هربت من مولاك وما صار حالك إليه أما إنك لو أقمت عنده ما كانت هذه
حالتك وإنما أنت عبد سوء مقصر فقال لهم نعم والله أنا عبد سوء ونعم
المولى مولاي ومن قبلي التقصير ولو أطعته وطلبت رضاه ما كان من أمري هذا
وجعل يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق قال فرحمه القوم وظنوا أنه يعني
مولى من موالي الدنيا وهو يريد بذلك رب العزة فقال له رجل من أهل القافلة
لا تخف أنا آخذ لك من مولاك الأمان فارجع إليه وتب فقال لهم إني
راجع إليه وراغب فيما لديه قال وكان قد خرج زائرا إلى قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسارت القافلة ذلك اليوم وسار معهم وجدوا في السير
فلما كان في الليل نزلوا في فلاة من الأرض وكانت ليلة شاتية كثيرة
المطر قال فأوى كل واحد من القافلة إلى رحله وخبائه ولم يأو أويسا إلى
شيء ولا سأل أحد شيئا وكان قد آل على نفسه ألا يسأل شيئا من أمور
الدنيا وألا تكون حوائجه إلا إلى الله فبلغ به البرد تلك الليلة مبلغا
شديدا حتى اضطربت جوارحه من شدة البرد واشتد عليه سلطان البرد
فمات في جوف الليل فلما أصبح وأرادوا الرحيل نادوه قم أيها الرجل فإن
الناس قد رحلوا قال فلم يجبهم فأتاه رجل كان قريبا منه فحركه فوجده ميتا
فنادى يا أهل القافلة إن العبد الهارب من سيده قد مات ولا يصلح لكم الرحيل
حتى تدفنوه قالوا وما الحيلة في أمره فقال رجل صالح كان معهم إن هذا العبد
كان عمدا تائبا راجعا إلى مولاه نادما على ما صنع ونحن نرجو أن ينفعنا الله
به وقد قبل توبته ونخاف أن نسأل عنه إن تركناه غير مدفون ولا بد لكم
أن تصبروا حتى تحفروا له قبرا وتدفنوه فيه فقالوا هذا موضع ليس
فيه ماء فقال بعضهم لبعض سلوا الدليل فسألوه فقال إن بينكم وبين
الماء ساعة ولكن أرسلوا معي رجلا واحدا وأنا آتيكم بالماء فأخذ الدليل
ما كان من الأدلية وسار إلى الماء فلما خرج من القافلة إذا هو بغدير من
الماء فقال الدليل هذا هو العجب الذي ما رأيت مثله هذا موضع ليس فيه
ماء ولا على قرب منه فرجع إليهم وقال كفيتم المؤنة عليكم بالحطب

فاجمعوه

فاجمعوه لتسخنوا له الماء من شدة البرد فجمعوا له الحطب ثم أتوا إلى
الماء ليأخذوه فوجدوه سمحا بعلي فازدادوا تعجبا وفزعوا من ذلك الرجل
وقالوا إن لهذا العبد قصة وشأنا قال فأخذوا في حفر قبره فوجدوا التراب
ألين من الزبد والأرض تفوح مثل المسك الأذفر لم يشموا في دار الدنيا أطيب
منه رائحة فعند ذلك اشتد خوفهم وملئوا رعبا وفزعا وكانوا إذا نظروا
إلى التراب الذي يخرج من القبر وجدوه صفة التراب فإذا شموه وجدوا رائحته
كرائحة المسك فضربوا له خباء وأدخلوه فيه وتنافسوا في كفنه فقال
رجل من القوم أنا أكفنه وقال آخر أنا أكفنه فاتفق رأيهم على أن يفعل كل واحد
منهم شيئا ثم إنهم أخذوا دواة وقرطاسا وكتبوا صفته ونعته وقالوا إذا
وصلنا إن شاء الله إلى المدينة لعل يعرفه أحد وجعلوا الكتاب في أوعيتهم فلما
غسلوه وأرادوا أن يكفنوه كشفوا الثوب الذي كان عليه فوجدوه مكفنا
بكفن من الجنة لم يروا الراؤون مثله ووجدوا على كفنه مسكا وعنبرا وقد
ملأ رائحة حنوطه الدنيا وعلى جبينه خاتم من مسك وعلى قدميه آخر فقالوا
القوم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إن الله عز وجل قد كفنه وأغناه
عن أكفان العباد ونرجو الله تعالى أنه قد أوجب لنا الجنة ورحمنا بهذا العبد
الصالح وندموا ندامة شديدة على تركه تلك الليلة حتى مات من البرد ثم إنهم
حملوه ليدفنوه في بقعة سهلة فصلوا عليه فلما كبروا سمعوا صوت التكبير
من السماء إلى الأرض ومن المشرق إلى المغرب وانخلعت أفئدتهم ولم
يدروا ما صلوا عليه من الجزع وعظم رعبهم بما سمعوا فوق رؤوسهم فحملوه
يريدون به قبره فكان يخطف من بين أيديهم ولا يجدون له ثقلا حتى أتوا به إلى قبره
ودفنوه فرجع القوم وقد تعجبوا من أمره فلما قضوا سفرهم وأتوا إلى
مسجد الكوفة وأخبروا خبره وما كان من صفته فعند ذلك عرفه الناس وارتفعت
الأصوات بالبكاء في مسجد الكوفة ولولا ذلك ما عرف أحد موته ولا مكان
قبره لاختفائه من الناس وهروبه منهم رضي الله عنه ونفعنا به

الفصل الثامن

إخواني إلى كم هذه الغفلة وأنتم مطالبون بغير مهلة فيا لله عليكم تعاهدوا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)